الدعوة للطاعـــــــــــة

عندما كتب الله بإصبعه (خروج ٣١:١٨)

يُختتم الكتاب المقدس بهذه الكلمات الرصينة: "إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَزِيدُ عَلَى هذَا، يَزِيدُ اللهُ عَلَيْهِ الضَّرَبَاتِ الْمَكْتُوبَةَ فِي هذَا الْكِتَابِ. وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ يَحْذِفُ مِنْ أَقْوَالِ كِتَابِ هذِهِ النُّبُوَّةِ، يَحْذِفُ اللهُ نَصِيبَهُ مِنْ سِفْرِ الْحَيَاةِ، وَمِنَ الْمَدِينَةِ الْمُقَدَّسَةِ، وَمِنَ الْمَكْتُوبِ فِي هذَا الْكِتَابِ"(رؤيا ٢٢:١٨،١٩).

أيها المحبوب من الله و أيها الغالي، يشير هذا التحذير إلى الأسفار المدونة التي كتبها أُنَاسُ اللهِ الْقِدِّيسُونَ مَسُوقِينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. ولا بد أن يُؤخذ هذا التحذير بشكل أكثر جدية مع الوصايا العشر (وتُسمى أيضًا القوانين العشرة) للأسباب المقنعة التالية:

١- هذه القوانين العشرة، على عكس أي كتابات أخرى، لم يكتبها قلم إنسان، بل كتبها الله نفسه، بإصبعه الناري. وبعبارة أخرى، هنا هو الموضع الوحيد في الكتاب المقدس الذي كان الله فيه هو كاتبه الخاص.

٢- هذه القوانين هي القوانين الوحيدة التي صمم لها الله صندوقًا مخصصًا (تابوت العهد) تُوضع فيه هذه الوصايا العشر.

٣- كان هذا الصندوق الذي تُحفظ فيه هذه القوانين نفيسًا للغاية، ومقدسًا لدرجة أنه أصبح موضع التقاء الله مع الإنسان. قال الله لموسى: "وَأَنَا أَجْتَمِعُ بِكَ هُنَاكَ وَأَتَكَلَّمُ مَعَكَ"(خروج٢٥:٢٢).

٤- يجب على الناس جميعًا تقديم إجابة لله على أساس هذه الوصايا في يوم الدينونة.

٥- تتميز هذه الشرائع عن جميع القوانين الأخرى بأنها قابلة للتطبيق بشكل مثالي في كل جيل، وفي كل ثقافة، وفي كل مجموعة عرقية وقبلية. باختصار، إنها ملزمة بشكل عام شامل لكل إنسان على وجه الأرض.

٦- أُعطيت هذه القوانين كوحدة واحدة كاملة، مكتوبة في وقت واحد، متصلة، مما جعل يعقوب يقول: "لأَنَّ مَنْ حَفِظَ كُلَّ النَّامُوسِ، وَإِنَّمَا عَثَرَ فِي وَاحِدَةٍ، فَقَدْ صَارَ مُجْرِمًا فِي الْكُلِّ. لأَنَّ الَّذِي قَالَ: لاَ تَزْنِ، قَالَ أَيْضًا: لاَ تَقْتُلْ. فَإِنْ لَمْ تَزْنِ وَلكِنْ قَتَلْتَ، فَقَدْ صِرْتَ مُتَعَدِّيًا النَّامُوسَ"(يعقوب٢: ١٠، ١١).

٧- أُعطيت هذه الوصايا بدون تاريخ انتهاء للصلاحية. كما أُعطيت بدون الحق في التعديل أو الأعذار أو شروط للخروج منها.

الناموس والمحبة: إن تصور أن العهد القديم يدور حول "الناموس"، والعهد الجديد يدور حول "المحبة" هو الأكثر خطأ. فقد ثبت أنه من الخطأ أن نعتبر أن الله قد دعا الناس إلى طاعة وصاياه العشر، وفي الوقت نفسه أمرهم أن يحبوه بكل قلوبهم. هذا هو السبب في أن موسى، في خطابه الوداعي لإسرائيل، استشهد بالناموس والمحبة معًا. فيذكر الوصايا العشر في الأصحاح الخامس من سفر التثنية، كما نراه في الأصحاح السادس من السفر نفسه يذكر وصايا المحبة المتميزة أن علينا أن نحب الرب إلهنا من كل قلوبنا ومن كل نفوسنا ومن كل قوتنا.

لا يمكنك أن تتحد مع الله إلا بالناموس والمحبة. إلا إن المحبة أكثر إلحاحًا من كل قوانين العالم الأخرى مجتمعة معًا. أما كيفية ارتباط المحبة والوصايا معًا فتوضحه كلمات يسوع كما يلي:" اَلَّذِي عِنْدَهُ وَصَايَايَ وَيَحْفَظُهَا فَهُوَ الَّذِي يُحِبُّنِي، وَالَّذِي يُحِبُّنِي يُحِبُّهُ أَبِي، وَأَنَا أُحِبُّهُ، وَأُظْهِرُ لَهُ ذَاتِي"(يوحنا١٤: ٢١).

ومع إنه لا يمكن لأي خاطئ أن يتبرر بحفظه للوصايا وطاعتها، كذلك لا يمكن لأي مسيحي دخول السماء إذا كسر أي وصية من الوصايا العشر. فالكذابون واللصوص والزناة والوثنيون ومن مثلهم سيُلقون في بحيرة النار. إن دم يسوع لا يُعطى لتغطية خطايانا لكي يتركها تتعفن وتتقيح تحت هذا الغطاء، لكنه يُعطى

لمحو خطايانا وإبعادها عنا كَبُعْدِ الْمَشْرِقِ مِنَ الْمَغْرِبِ (مزمور ١٠٣: ١٢؛ ميخا ٧: ١٩).

دليل آخر على أبدية الوصايا العشر:

قبل كتابة الوصايا العشر على الحجر بإصبع الله، كانت مكتوبة في الضمير الإنساني. فكل إنسان بداية من آدم، يُولد وفيه بوصلة أخلاقية هي الضمير الذي يحتوي على الوصايا العشر كلها. لقد عرف آدم أنه انتهك إحدى تلك الوصايا وأحس بالخجل (تكوين٣: ١٠). كما عرف قايين أنه انتهك إحدى تلك الوصايا بعد أن قتل أخاه هابيل، وصار خائفًا على حياته (تكوين ٤: ١٣،١٤). إن اليشر جميعًا يُولدون بهذا الجهاز الأخلاقي داخل أجسامهم، وبالتالي، فإنهم يعرفون الصواب من الخطأ. وبالطبع، إنه في كل مرة يتجاوز الإنسان ضميره، فإنه يتبلد ويصبح أكثر شرًا (رومية ٢: ١٥؛ تيموثاوس الأولى ٤: ٢).

٢- بعد كتابة الوصايا العشر في الضمير الإنساني، كُتبت على لوحين من الحجر كتأكيد علني، كدستور أخلاقي لبني إسرائيل المختارين، امتدادًا لشعوب العالم جميعهم.

٣- تُكتب هذه الوصايا العشر في قلوب الناس لتصبح قوة داخلية عند قبولهم للمسيح، حسب نبوءة إرميا:" ... بَعْدَ تِلْكَ الأَيَّامِ، يَقُولُ الرَّبُّ: أَجْعَلُ شَرِيعَتِي فِي دَاخِلِهِمْ وَأَكْتُبُهَا عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَأَكُونُ لَهُمْ إِلهًا وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْبًا"(إرميا٣١: ٣٣).

إن تقديم الوصايا استدعى أعظم مشهد كتابي حدث على الأرض، الضربات العشر في مصر، أو لقاء إيليا مع الله على جبل حوريب، أو الأحداث المصاحبة للصلب والقيامة. أنا لا أقيّم هنا أهمية أحداث معينة ولكن حجم المظاهر الفائقة للطبيعة المصاحبة لها. وها هنا ما حدث استعدادًا لإعطاء الوصايا العشر:١- تمت توصية الأزواج بعدم النوم مع زوجاتهم.٢- صدرت تعليمات للناس كلهم بغسل ملابسهم. ٣- تم بناء سياج حول محيط الجبل وأي شخص يخترق السياج، إنسانًا كان أو حيوانًا، يُقتل قتلاً (خروج١٩: ١٢).

صاحب حلول الله في المكان الظواهر التالية: دخان كثيف ورعد وبرق وزلزلة للجبال ونار وصوت بوق شديد جدًا. وكانت النتيجة النهائية هي إن الشعب بأكمله (٢,٥ مليون شخص) كانوا يرتجفون ويرتعدون. كانت تلك المرة الوحيدة التي سمع فيها الشعب كله صوت الله ووقفوا أمامه بخوف ورعدة (خروج١٩: ١٦؛ تثنية٤: ٩-١٣). ولم يحدث ذلك مرة أخرى بأي حال، ولن يتجلى ثانية إلا عندما يأتي يسوع المسيح نفسه في السموات.

إذن ما الذي كان في ذهن الله عندما كتب بنفسه هذه الوصايا، ولماذا صاحب ذلك مثل هذه الضجة؟ لقد تم ذلك من أجل هذا الهدف الشامل الأسمى، وهو تأكيد قداسته بشكل علني وقاطع من خلال الكشف عن الارتباطات الأخلاقية التي تتضمنها القداسة، وذلك بفرض هذه الوصايا العشر. الله قدوس قدوس قدوس. ترد كلمة القداسة وكل مرادفاتها ٦١٠ مرة في الكتاب المقدس. ليس هناك أي صفة من صفات الله قد وجدت قدرًا من الاهتمام أكثر من القداسة. ولا يمكن لأي إنسان أن يتقدم إلى حضرة الله إلا على أساس القداسة. "اِتْبَعُوا السَّلاَمَ مَعَ الْجَمِيعِ، وَالْقَدَاسَةَ الَّتِي بِدُونِهَا لَنْ يَرَى أَحَدٌ الرَّبَّ"(عبرانيين١٢: ١٤). تشكل هذه الوصايا العشر جوهر تعليم القداسة، وكيفية معيشة الإنسان بشكل أخلاقي، مع كل من خالقه والناس. إن شركته مع الله تنكسر بأي انتهاك لأي وصية من هذه الوصايا العشر.

إلا إنه ينبغي علينا أن نعتبر هذه الوصايا العشر كأساس، يشبه الهيكل العظمي لجسم الإنسان. وعندما جاء يسوع علق الأنسجة الرخوة والأعضاء في هذا الهيكل العظمي عندما أعطانا الموعظة على الجبل. ثم من خلال انسكاب الروح القدس، أعطانا الله ثمار الروح لنلبس هذا الإنسان ونحضره إلى ملء قامة صورة الله. في المقام الأول هذا هو القصد الوحيد من خلق الله للإنسان.

والآن، إذ علمت كل هذا، فمن أنت حتى تتدخل في القوانين العشرة، المعروفة أيضًا باسم الوصايا العشر، وتعدل فقرة منها أو تهرب منها؟ ما السلطة التي لديك، يا صديقي، في هذا الشأن؟ من تظن نفسك لتتعامل مع القدير؟

إن أحد أقوى مظاهر عدم وجود أعذار أو تهرب من الشروط أو استثناء من أي وصية، قدمه لنا يسوع عندما ناقش الوصية السابعة (المتعلقة بالزنا) مع الفريسيين (متى ١٩). فعندما انتهى من شرح المقصود من ضيق هذه الوصية وهو حماية قداسة الزواج، قال الرسل في هلع شديد:" ... ليس من الجيد الزواج"، بمعنى إنه إذا لم يكن هناك مهرب من التزامي تجاه زوجتي الأولى طالما بقيت حية، فالأفضل إذن أن أظل بلا زواج. حقًا، هذا هو بالضبط ما كان يدور في ذهن الله منذ البداية عندما قال: "فَالَّذِي جَمَعَهُ اللهُ لاَ يُفَرِّقُهُ إِنْسَانٌ" (متى١٩:٦). بطبيعة الحال، بعد أن حل الروح القدس على الرسل، نادوا بكل حماس وفرح بهذا التعليم في كتاباتهم للكنائس (رومية٧:٢،٣؛ كورنثوس الأولى٧:١٠،١١).

لذلك يا صديقي، قد لا تحب هذه الوصية أو تلك، لكنها مكتوبة في ضميرك، وعلى لوحي حجر، وفي قلبك. فهي مكتوبة في ثلاثة مواضع. كيف تظن أنه يمكنك أن تستخرج وصية من هذه الأماكن الثلاثة، وتعدلها ثم تعيد إدخالها ثانية في مكانها مع بقية الوصايا الأخرى؟ هذا مستحيل وسخيف وخطير للغاية، هذا لو أمكنك النجاح في عمل ذلك.

من فضلك لا تتبع فكرة إن الوصايا العشر الأصلية لم تعد مناسبة لهذا اليوم والعصر مع ما فيه من مظاهر ثقافية جديدة. لا، وألف مرة لا. لقد تمت كتابة هذه الوصايا العشر مع أخذ الأبدية في الاعتبار، مع معرفة الله الشاملة لجميع التغيرات الثقافية في المستقبل. لا تعدل هذه الوصايا، بل عدل نفسك لتطيعها، لئلا يرسل الله عليك طاعونًا، أو أسوأ من ذلك، يمحو اسمك من سفر الحياة. لقد وُضعت الوصايا العشر في صندوق (تابوت العهد)، لأنها كانت في قلب الله، وما تزال فيه. ضعها أنت أيضًا في قلبك.